في صمتها..

يتخلق الوطن

أحمد صالح الصالح «مسافر»

تلألأتِ في بدني
مشرقاً من شموسٍ
وإطلالةً تستلذُّ النفوسُ بواكيرها
ملء ضوء القمرْ
جناحي تَلَمَّسَ دفئكِ
فانْهَمَرَ القيظُ في أضلعي
واستويتُ أضمّكِ
بين جناحي وقلبي
أضمّكِ حتى احتواك الفؤاد
على لذّةٍ مثل ماء المطر
***
تنادين..؟!
سمعي تفيَّأَ صوتَكِ
ظلاً حنوناً
يلامس فيكِ اعْتِلالَ القُرَى
وعنكِ يردُّ ضلال البشر
أراكِ.. تطلّين من شرفة القلب
فافترشي «ثُوْمَةَ» القلب أرضاً

ومُدّي عليك الشغافَ سماءً
لك البِيْدُ تخفق ملءَ السرايا
لها الأُفُقُ المتّكى
والزمانُ المدى
والضياءُ البصر
***
إلى أين تنأى بكِ الأرضُ عني..؟!
وهذا هواك
أمضَّ الفؤادَ
وأوحى إليك بِهَمِّ الديار
وألقى بعينيك سحر الحور
لديك.. أنا أستزيد المها
دفءَ أحلامها
أماناً.. يُفَجِّرُ في شفتيك المعين
يعيدك لي وطناً مورقاً
فاقرئيني.. كتاباً
صحائفه الرملُ
والنخل فيه الحروف

وأنتِ البهاءُ الذي في الحروف
وأنتِ المعاني
ولونُ الصُّوَرْ
***
تَعَشَّمْتُكِ الآن لي زمناً
مُتْرعاً بالصهيل
وسيفاً ورمحاً
يردُّ عن الأرض هذا الخور
تعشّمت للحب زلزلةً
وابلاً صَيِّبَ الزحف
يُنْشِزُ أَلْبَابَ هذا السواد
يُفَتِّقُ طوفانُهُ بذرة الخَلْقِ
يَنْشَقُّ عنهُ الثرى
زمناً مُثْقلاً بالبوارِيد
شُمَّ الأنوف صِيَاحَ الغُرَرْ
يجيئون مثل الأماني سِرَاعاً
على صهوة الشمس
مثل الدراري

يعيدون للأرض نبض الحَجَرْ
تعشمتك الآن
هماً ودوداً
وعافية في يقين الرجال
وعاشقة حبّها يستبدُّ
رضاها أمانٌ
لأعراضها وحشةٌ لا تغيبُ
ونارٌ تأجُّجُهَا لا يذر
***
أنا ذلك الجسد المبتلى
أجيءُ مُسَجّىً بحزنك
قُوْمي إليَّ بطلعتك المجتباة
تعشّمت هذا الدلال السخيَّ
وهذا الشموخ المديد،
وهذا الجمال الثريَّ
وفَيْضَ الحنان
اصطفيتك حباً
فقومي إليَّ..!!
وهُزّي مَوَات الجهاد بقلبي
ورُدِّي عظامي
إلى كل شِلْوٍ
ونُضِّي عن الليل هذا الخدر
هنا.. يا شميم العرار
ورائحة الشيح
سَعَّرَ صبرَكِ هذا الغرامُ
أَمَا آن للقلب أن يصطفيكِ
فأيَّانَ.. ينتفضُ الدودُ..؟!
يَنْسِلُ من كل حَدْبٍ

هنا.. تَستفزُّ البراعمُ صَدْرَ اليَبَابِ
ويربو بوصلك هذا التراب
ربيعاً يُنَضِّرَ بالرِّيِّ والنمنمات
وجوهَ البلادين
يحمي رميمَ الشجر
يعيد تألّقنا من جديدٍ
أعانقُ فيك الزمانَ الجميل
أُقَبِّلُ حتى الثُّمالة
حتى يفيض الرضا في النفوس
ويسترضعُ الغيثَ جدبُ الحياة
ونبلغ في الحبّ حَدَّ الحذر
***
أكابد نحوك صمتاً رهيباً
إلى حيث صمتكِ
يستصرخُ الخيلَ
سابغةً من دروعٍ
ويستصرخُ الأرضَ
زحفاً عريضاً
يُصَرِّفُهُ العاشقُ المنتظر
أُوَشِّيكِ أحلى القصائد
تغشاك شوقاً
تحرّك فيك الأنوثة
صدراً وثغراً شهيّاً
تُوَشِّينَ حدَّ الحسام
على ضفّة الجرح
يأتي الخضاب نقيّاً
برائحة النصر
ينفذ في كبرياء الظفر
***

أَضُمُّكِ في رعشة الطين
وصلاً جميلاً
يعيد التوهّج للعشق
يبدأ هذا التشكّل
في الماء والحمأ المجتبى
وتغتبط الأرض
تُنْضِجُ أمشاجَ هذا المدر
أَضُمُّكِ.. أنتِ تذوبين شوقاً
تحلّين روحاً شفيفاً بنبضي
ويبلغ منّا الجهادُ الفداءَ
ويَقْرَأُنا السمعُ ملءَ الخبر
إلى ساعة الوصل
نصعد حتى نلامس بطن الثرى
حيث أنتِ تَفُضِّينَ لحْدَكِ
تستنطقين الأمور الأخر
إلى حيث أنتِ..!!
يَمدّ لكِ الأفقُ وجهَ السماءِ
على صهوتين:
من الغيم والصافناتِ
تسامى بك المهرُ والماءُ
حتى ارتويْت
بآنية من رحيق الثمر
إلى حيثُ أَنْتِ..!
تضيئين فوق امتداد النظر

الرياض